الصبر على ما يوذيك من قولهم الساحر الشطيح واقبل على تسبيح ربك واملك الى ذكر داود
كما قال فيما عطف على هذا واذكر عبدنا ايوب واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب و
اذكر اسمعيل واليسع وكتبين بلا حاجة الى تكلف المناسبة بين حال قريش وقصصهم
وبين حال داود عليه الصلوة والسلام والالتزام ذكره في المعطوفات ايضا مع انه لم يشر فيها
الى وصف بل بمجرد تشريف ورفع من شانهم فقصص داود وقصصهم في سلك واحد
ولو الجا الى ما تكلفه في الكشاف وتعسفه لكان في احترام نبي الله منه وجه عن الغلو
في تلك المناسبات البعيدة كيف وقد وقعت غير موقعها قوله تعالى قال رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي هذا من نمط قوله صلى الله عليه وسلم اللهم وما قصر عنه
رأيي ولم تبلغه مسألتي ولم تبلغه نيتي من خير وعدته احدا من خلقك او خير انت معطيه
احدا من عبادك فاني ارغب اليك فيه واسالكه برحمتك يا رب العالمين اخرجه الترمذي
وفي حديث طويل من حديث ابن عباس وكان سليمن عليه الصلوة والسلام قال قد علمت
يا رب ما انت معط عبادك بعدي من الملك فاسالك فوق ما انت معط اي عبد منهم
واذا سال ربه فوق ما علم انه معط اي واحد منهم فقد سأله ما لا ينبغي لاحد لان الواحد لانه
لا ينبغي له الا ما قدر له ودبر في اللوح المحفوظ واقتضت الحكمة فمعنى قوله لا ينبغي لاحد مكان
قوله لا تعطيه احدا في علمك وحكمتك قوله تعالى ذلك ظن الذين كفروا انما كان تعطيلهم الاعراض
من خلق العالم بتركهم عبادة الله وجحدهم دار الجزا التي يظهر فيها العدل والانصاف
الذي تقوم به السموات والارض وجحدهم التوحيد الذي هو راس العبادة وراس كل
واجب وحق فلما كان منهم ذلك وقوع جحلوا كانهم قد طرا عليهم لبس واصابهم غشي
لم يتبينوا شمس الحكمة في خلق العالم التي هي اوضح واضح فظنوا انه لا حكمة وانما وقعت
منه الامور عبثا وباطلا ولعبا ونحوها افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من
لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل
مما تصفون فانظر هذه الايات كيف نعت على الكفار لازم قولهم وانهم لم يصرحوا انه بل
الظاهر في عمل كل عاقل ان الامور لها مقاصد وحوامل ولكن محلو عن ذلك

الافعل

الا فعل المجانين والسفهاء بل لا يخلو فعلهم ايضا اذ لابد لهم من حامل حال او نحوه لكنه
ليس بعرض صحيح ترتضيه العقول واما فعل العاقل فمنزه عن ذلك من حيث انه عاقل
وحكيم ومن جاز عليه السفه خلط الحكمة والسفه كيف الحكيم الواجب الحكمة وفعله الذي
خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم
ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد ملأ الله سبحانه كتابه العزيز باسمه
الحكيم وبيان الايات الدالة على حكمته وتعيين الاعراض الحاملة على الافعال التي فعلت لاجلها
ولم يسمع بعاقل مسلم او كافر يتجاسر على نسبة الله الى السفه وعدم الحكمة قال امية ابن ابي الصلت
مع كفره لم تخلق السماء والنجوم والشمس معها قمر يقوم الا لامر شانه عظيم ثم نبغ في المتسمين
بالاسلام شي غرسته الفلاسفة القائلين بان التعليل ينافي القدم فسبحان هو الا امر
رجا وابشي اذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقد
لزمهم نفي الاله من حيث الاولى انه اذا كانت عجائب الملكوت اتفاقية فقد جاز تخصيص
من غير مخصص فيكون حدوث العالم من ذلك فلا دليل على حدث الثانية ان من لم يقصد
وضع الاشيا في مواضعها اللائقة بها وانما يرمي بالافعال موكولة الى الاتفاق فهو
مسمى السفيه والسفيه ليس باله اللهم انا نعوذ بك من الضلالة بعد الهدى قوله تعالى
قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي هذا طبق روايات مصرحة بان الله سبحانه
خلق ثلثة اشيا بيده جنة الفردوس وادم وكتب التورية بيده وروايات تخص
خلقه ادم بيده كما في حديث الشفاعة خلقك الله بيده وكذلك محاجة موسى وادم فهذا
التخصيص هو الذي عبره سبحانه اي قد سبق لك يا ابليس علم باني منحته تكرمة فيها
ارهاص الى ما اريد به من الكرامة فما الذي منعك عن اكرام من اكرمته بادي بدا وقد صار
الان بعيدي فهو على حال اقرب الى التسوع وترقب له الكرامة وكانت النسبة الخاصة
الى الله هو عنوان حجة على ابليس الغوي فرفض اللعين النظر الى ما تبقي له الحكم العليم سبحانه
والتي يجعله من عنده في المفاضلة بين جوهري اصليهما وهما النار والتراب فوقع في المحذور